السفير العربي

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

15

الخميس 22 كانون الثاني 2015 . الموافق 2 ربيع الثاني 1436 هـ . العدد 12978

AS-SAFIR Arabic political daily - January 22, 2015 N° 12978

1

موسيقى «التحرير» عنوان لرحابة اللحظة الاستثنائية، و«معازف»: استعادة التاريخ أهم من التاريخ، والغرافيتي في اليمن يكشف تآمر «الشركاء». ملف بمناسبة 4 سنوات على «25 يناير».

2

الشعر يتورط في الاستهلاكية وبات مرآة مكسورة: نقد. وما بين الهمس والمدافع: قصيدة النثر في الميدان. وقصائد من العراق ومن البحرين. ورسوم غرافيتي من مصر ومن تونس.

3

.. و«يناير» آخر: طقوس وأساطير رأس السنة الامازيغية، حيث الاحتفاء بتجدد الأرض وحملها للخيرات. وفي «بألف كلمة»: اثنتان من أفضل 20 صورة عالمية في 2014 تخصان فلسطين.

4

في ذكرى الثورات: عن الهاربين من قهر إنسانيتهم في مصر

جناحان يتنازعان التوجهات الفكرية والسياسية لـ «حركة النهضة» التونسية، قد يمكن اختزال الفارق بينهما بالإشارة إلى موقع كل منهما إبّان حكم زين العابدين بن علي: المعتقلين في جانب، والمنفيين السائحين في الأرض الواسعة في الجانب الآخر. وفي الذكرى الرابعة لاندلاع الثورات العربية، وبينما يقبع «بن علي» في ملاذه السعودي، يظهر شبحه في شوارع تونس نفسها، كما يوحي قمع المعارضين في مصر أن له شبحاً آخر يحوم حول عبد الفتاح السيسي، إذ ينقسم الثوار الشباب الآن في أرض الكنانة إلى معتقلين في الداخل، مسجونين او مضيق عليهم، وإلى مهاجرين أو هاربين أو منفيين اختيارياً في الخارج. فإن كانت هناك استحالة لعودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل «ثورة يناير»، بسبب تغيرات اجتماعية تجري حالياً بفضل اندلاعها، وفي ظل التفاعلات التالية لها، إلا أن آمال المتفائلين بالمستقبل المتوسط – على الأقل – تظل رهينة تلك العلاقة المرتقبة بين العائدين من الخارج وبين الخارجين من غياهب السجون.. حين تأتي لحظة تعافي الثورة المأمولة.

أنس سلامة – سوريا

الخروج من السجن الكبير

يصعب فصل الذاتي عن الموضوعي في حالة كاتب هذا المقال. فأنا شاب تجاوز الأطروحات الإسلاموية ونشاطه السابق مع جماعة الإخوان المسلمين وانخرط في العمل المدني غير المسيس، ثم انضم إلى حملة «دعم البرادعي ومطالب التغيير»، التي وُصفت بأنها حملة متجاوزة للأيديولوجيات والتوجهات الفكرية من غير مناهضة لأي منها، وتهدف إلى إيجاد بديل سلمي لحكم مبارك. كنت واحداً من هؤلاء المتفاعلين مع قضية مقتل الشاب السكندري خالد سعيد تعذيباً على يد الشرطة في الشارع، ومشاركاً في تأسيس لجنة التنسيق بين شباب القوى الوطنية بالإسكندرية، تلك التي شاركت في إشعال فتيل 25 يناير 2011. أربع سنوات من الآمال والآلام، ومن العمل في قضايا المهمشين حقوقياً وصحافياً وبحثياً، حاولت فيها أن أصل سيناء بأسوان والنوبة، وأن أضم شلاتين إلى واحة سيوة، في معركة وطنية تناضل فيها الأطراف المصرية النائية ضد سردية العاصمة المركزية وإقصائها وتهميشها. لكني في النهاية، كغيري من شباب الثوار، لم أجد في المليون كيلومتر مربع متسعاً فاضطرت إلى الخروج المجهول الأجل.

ليست حالة فردية. فالثوار المصريون الشباب منتشرون حول قارات العالم القديم وأميركا الشمالية، وبعضهم وصل إلى أستراليا وأميركا اللاتينية. تتفاوت كثافة «المصريين في المهجر»، وهو تعبير شاذ لم تألفه آذان المصريين من قبل، وتختلف من دولة إلى أخرى. رحل كثير من الإسلاميين إلى السودان وقطر وتركيا وماليزيا، كمجموعات وشبكات اجتماعية واقتصادية وتنظيمية، مصطحبين معهم وحولهم بعض المحسوبين على الصف الثوري من غير الإسلاميين، الذين ربما تربطهم علاقات إنسانية وعائلية بالإسلاميين أكثر من غيرهم. أما الراحلون من الثوار المصنفين يساريين وليبراليين فاختلفت وجهاتهم بين باحثين عن فرص عمل آمنة من الملاحقة الأمنية (ولو كانت في السعودية أو الإمارات أو الكويت)، معتزلين النشاط السياسي والتعبير عن توجهاتهم عبر شبكات التواصل الإلكترونية تفادياً للأذى المعيشي في الدول الخليجية المذكورة. والبعض منهم وجد طريقه إلى الشمال الغربي، أي اسكندنافيا ووسط وغرب أوروبا والولايات المتحدة وكندا، وآخرون إلى بلدان غير مألوفة للمصريين، مثل شرق أوروبا وآسيا الوسطى وأفريقيا جنوب الصحراء.

ليس الدافع هو الهروب من الملاحقة الأمنية أو الأحكام الملفقة فقط، إذ الهروب من الإحباط وفقدان قيمة التضحيات حاضر بقوة، وكذلك السعي وراء حياة يومية كريمة لا تُنتهك فيها الأجساد داخل المنازل وفي الشوارع والمواصلات العامة. يبحث الراحلون عن إنسانيتهم المقهورة في مصر، إذلالاً من أجل كوب ماء نظيف، وإرهاقاً بسبب انقطاع التيار الكهربي في الصيف القائظ، واستباحةً لأجساد النساء في المجال العام، وإزهاقاً لأرواح المتظاهرين السلميين عقاباً على تعبيرهم عن آرائهم. لا تنتهك الأجساد فقط في السجون وأماكن الاحتجاز، ولا تُعذب الأرواح فقط بين قضبانها وجدرانها، بل صار البقاء في مصر كالسجن الاختياري الذي لم يعد مستغرباً فيه أن يسألك الشرطي حال توقيفك في غير منطقة سكنك، مستنكراً ومتشككاً: «ما الذي أتى بك إلى هنا؟!».

تاقوا إلى التحرر والكرامة في وطنهم، وقدموا في سبيلهما تضحيات كثيرة بالأرواح والأجساد والأموال والأوقات، فلماذا تعذر الوصول إليهما رحلوا باحثين عن شيء منهما في رحاب الكوكب الأرضيّ. انتوى بعضهم الهجرة بلا عودة، لكن أغلبهم عازمون على استثمار الوقت الضائع في الاستزادة العلمية والمهنية على أمل التهيؤ للعودة المنشودة. تتفاوت استعداداتهم للانفتاح الفكري والتوسع المعرفي، لكن تجربة الخروج والترحال تفرض عليهم جميعاً قدراً إلزامياً من حزم المتاع، واجتياز الحدود، وتجربة الفنادق والمطارات، ورؤية التنوع الإنساني في اللسان والعرْق والدين وأنماط الحياة. قليلون منهم من ينخرط في أعمال لها علاقة بالشأن العام المصري، سواءً مشروعات إعلامية أم تنموية أم أكاديمية، فردياً أو جماعياً، والأغلب يجتهد من أجل توفير مستلزمات الحياة الضرورية ورعاية عائلته مختبِراً قسوة العالم الرأسمالي الاستهلاكي.

ينتهي الآن ذلك العهد الذي ينتظر فيه القابعون في نجوعهم وقراهم عودة المسافر كي يتحلّقوا حوله مشدوهين إلى ما يحكيه من غرائب العالم الخارجي وعجائبه، أو إلى مغامراته وقصصه المبْهرة. صحيح أن ثورة الاتصالات وشبكات التواصل الاجتماعي نقلت إلى أكثر المنغلقين صور العالم المتنوع وأصواته، الصور الأقرب الى الواقع بعيداً عن الخيال الهوليوودي والزيف الدرامي، لكن الحكم الحالي يدفع قطاعاً مهماً من المصريين الآن إلى اختباره شخصياً بذواتهم في تجربة ثلاثية الأبعاد، يمتزج فيها الضوء بالصوت، والفكرة بالشاعر، والملموس بالمعتقَد.

وبديل الخروج.. الدفن

قبل أربع سنوات، عاد المهندس الشاب هاني الجمل من الولايات المتحدة، تاركاً وظيفة جامعية مرموقة في إحدى جامعاتها، يحدوه أمل المشاركة في بناء وطنه المنتفض ضد فساد مبارك واستبداده. لم يكن الجمل يوماً قريباً من صفوف أعداء السيسي من الإسلاميين الجاري شيطنتهم واستباحتهم منذ انقلاب 3 يوليو/ تموز 2013، بل كان عضواً مؤسِّساً في حزب الدستور الذي تزعمه محمد البرادعي، أحد رموز جبهة الإنقاذ التي تصدرت مشهد معارضة حكم الإخوان المسلمين. شارك الجمل في وقفة احتجاجية أمام مجلس الشورى اعتراضاً على قانون التظاهر، المطعون قضائياً في دستوريته، فانتهت به السنة الرابعة من الثورة خلف أسوار السجن محكوماً عليه بخمس عشرة سنة. ينتظر هاني الجمل ورفاقه حكم محكمة النقض، أو ربما عفواً رئاسياً بفضل ضغوط إقليمية ودولية لإتمام شيء من المصالحة الداخلية، وإلا فإنه من المفترض أن يخرج من السجن ليجد طفليه شابين يافعين، أحدهما في الجامعة والآخر في الثانوية.

هناء الدغام - مصر

ليستْ حالة فردية كذلك، فأساتذة الجامعات والمهنيون وكل أصحاب الحضور الاجتماعي والمكانة يتم التنكيل بهم وإذلالهم إذا وقعوا في أغلال الاعتقال. وليس بعيداً عن ذلك ما نشره أحد مواقع جريدة «اليوم السابع» الموالية للسلطة الحالية من تسجيل مصور لمحاكمة استغرقت أربع دقائق حكم فيها القاضي بالحبس 3 سنوات على مهندس اتهمه ضابط شرطة بأنه أساء إليه. فبدعوى الضابط فقط، من دون أدلة أو شهود أو دفوع أو مرافعات، ومن دون تحقيق في النيابة أو محضر مكتوب، حكم القاضي بهذا الحكم ضارباً بكل القوانين والأعراف القضائية عرض الحائط. وهو القاضي نفسه الذي حكم على أحد الشباب بالسجن عدة سنوات إضافية لأنه تجرأ وسأله إذا كان يملك حساباً على موقع «فيسبوك» أثناء إحدى جلسات محاكمته. كما حرصت الشرطة على نشر صور أستاذ جامعي رفض منصباً وزارياً في بداية الانقلاب وهو منكسر أمام عدسة مصورهم، وكشفت عائلته لاحقاً أن تصويره كان تحت تهديده بتعذيب أخيه أمام عينيه.

عاد القمع المادي والمعنوي لأسوأ مما كان عليه تحت حكم مبارك، وصودرت هوامش حرية التعبير والمعارضة والعمل المدني. قد يكون ذلك مجرد عَرَض من أعراض انحسار المد الثوري، وليس مؤشراً على الهزيمة النهائية أو وقف ديناميكيات التغيير التي انطلقت لا يوقفها شيء، لكن أحداً لا يمكنه أن ينفي الأضرار الجانبية والتشوهات التي تحدثها هذه الأوضاع في المقهورين بالداخل، سواءً كانوا داخل السجون الضيقة أم في السجن المصري الكبير. يتداول الخارجون من الاعتقال والعائدون من زيارة ذويهم في السجون أخباراً مؤكدة عن انتشار الفكر التكفيري في أوساط الشباب داخل السجون. لعل ذلك يستدعي القصة الكلاسيكية الشهيرة عن نشأة «جماعة المسلمين»، أو عن تلك التي أطلق عليها «التكفير والهجرة» داخل السجن في الستينيات من القرن الماضي، بالتزامن مع التطرف الشديد الذي أصاب الأديب سيد قطب، حتى صار المنظّر الأول للجماعات الجهادية لاحقاً.

لا يخفى على المقيمين بمصر، بل حتى على زائريها، ما يمارسه الناس من رقابة ذاتية، وما يشيع بينهم من تربص وتوجس. وخير مثال على ذلك هو حادثة توقيف آلان جريش، رئيس تحرير جريدة لوموند ديبلوماتيك الشهرية المرموقة، بسبب وشاية «مواطنة شريفة» عنه وعن مرافقتيْه، حين سمعتهم يتحدثون فَي الشأن العام في إحدى مقاهي حي جاردن سيتي، وهو حي السفارات المليء بالأجانب من الدبلوماسيين وغيرهم. يشعر الناس أنهم مراقَبون وعُرْضة للوشاية دائماً، فيمارسون الرقابة الذاتية ويتطوع بعضهم بالوشاية الاحترازية على سبيل إبداء حسن النية والتعاون. اشتد السعار الاجتماعي، واحتد الاستقطاب، وتوحشت المعايير، فرخصت الدماء، وشاعت الشماتة، واستبيح السكوت عن الجرائم والانتهاكات.

يجري دفن المروءة في الداخل المصري، بالتوازي مع انفتاح المهاجرين والمسافرين على العالم الواسع واختبارهم جوانب إنسانية جديدة. ستمر الأيام والشهور والسنون، ثم نجد التغيير في مصر رهينة التفاعل بين العائدين من آفاق الخارج والخارجين من أقبية القهر الداخلي، حتى إننا حينئذٍ سنستدعي من الذاكرة لحظة هروب «بن علي» من تونس في كانون الثاني/ يناير 2011 والتفاعلات التي شهدتها تونس بين ضحايا نفيه وسجنه، وذلك قبل أن يظهر شبحه في الظرف الإقليمي المهدّد لفوز الباجي قايد السبسي في نهاية 2014.

اسماعيل الاسكندراني

باحث في علم الاجتماع السياسي - من مصر

«المخاطرة» بحسب الإسرائيليين

إسرائيل غاضبة لأن المحكمة الجنائية الدولية، التي قبلت في وقت سابق من الشهر الجاري عضوية فلسطين، قررت الشروع في فحص أولي لشبهة ارتكاب جرائم حرب في فلسطين. وأما نعوت «أوّلي» و«شبهة»، وهي تحفظية، فلا تُرضيها. كانت تريد من المحكمة أن ترفض عضوية فلسطين أساساً (باعتبارها ليست «دولة» وفق تصريح نتنياهو، أي لعيبٍ في الشكل كما تقول لغة القانون). وهيَ اليوم تهدد من جهة وتُطمْئِن نفسها من جهة ثانية: تفكر بكيفية «تجفيف مصادر تمويل».. المحكمة! (كما تجفَّف مصادر تمويل المنظمات الإرهابية)، وتفكر أيضاً بتشكيل جبهة سياسية ضدها (ستكون عضويتها من المتضررين من أحكامها، أي من المجرمين). وهي من جهة ثانية تعتبر أن التحقيقات ستشمل أيضاً أفعال الفلسطينيين، فهم أرسلوا صواريخ عليها! وأن أعمال المحكمة على كل حال بطيئة وتدوم لسنوات قبل خروجها باستنتاجات. بل وينصح مسؤولون إسرائيليون الفلسطينيين أن خطوتهم تلك، ومن بعدها تحقيقات المحكمة، تمثل «مخاطرة» عليهم. وأما الدرة فيفصح عنها ليبرمان من دون خشية من المسخرة، قائلا إنهم لن يتعاونوا مع المحكمة في إجراءاتها وطلباتها، لأن التحقيقات تلك تهدف إلى «تقويض حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها بوجه الإرهاب». بلغة أخرى: دعونا نقتل وندمر كما يحلو لنا وبشكل متكرر كل يوم، بل قولوا معنا إننا محقّون في ذلك، واعتبروا أي مقدار من المساءلة اعتداء.

إسرائيل لم توقّع طبعاً على «نظام روما» الذي أسس المحكمة الجنائية الدولية ولا هي عضو فيها. والتحقيقات التي بوشر بها بشكل تمهيدي وأولي، تخص فحسب ما جرى في الصيف الفائت، أي منذ حزيران 2014، وليس مجمل ملف العدوانات. وفي نهاية هذه المرحلة ستقرر المحكمة ما إذا كانت ذات صلاحية وكيفية استكمال تحقيقاتها.. وبكل الأحوال، فقرارتها تطال أفراداً مُحددَّين (أي ضباطاً وجنوداً) وليس كيانات. وبكل الأحوال أيضاً، فلتلك القرارات مؤدى معنوي ورمزي، وهي لن تتسبب مثلا بإعلان الحصار الدولي على إسرائيل، مثلما استُسهِل ويُستسهل إعلانه حيال أي بلد عربي، حتى لو كان بحجم العراق ومكانته.

... وبعد ذلك يتساءل البعض ببراءة عن أسباب ولادة «التطرف»، وعما إذا كان داءً نفسياً مثلا أو جينياً تختص به بعض الشعوب.

نهلة الشهال

العربي السفير
22 كانون الثاني 2015 . العدد 12978
Thursday January 22, 2015

سنة رابعة ثورة

ناس واقفة وناس خايفة وناس اقتنعت بقانون الغاب
وناس تستنا في تصريح باش تشوف فلذة الأكباد
ناس تتسلف وناس تتسول وناس عزة النفس ما خلاتهاش

أغنية بديعة بوحريزي، تونس

«أمِلَ» في معجم المعاني الجامع هي «ترجّى، تمنّى، رغب في». ويُضيف «علّق الآمال على كذا، أي اعتبر ما يرغبُ فيه كأنّه سيُحقَّق».

«إحباط» في معجم المعاني الجامع هو «إعاقة النشاط المتّجه نحو هدف، إمّا بإيقافه أو الإيحاء بأنّ مآله إلى الهزيمة والخيبة»، و«شعر بالإحباط أي بالفشل والتدنّي». ويُضيف «قَامُوا بِإِحْبَاطِ كُلِّ خُطَطِ العَدُوِّ: بِإِبْطَالِهَا وَالحَيْلُولَةِ دُون تَنْفِيذِهَا».

ما سبق يمكنه تلخيص المشهد الذي يسبق دنوّ التاريخ الرمزي للخامس والعشرين من كانون الثاني. انقضت أربع سنوات على «لحظة ثورية» أطاحت بكلّ شيء.. أو أمِلت بذلك. ثورات اشتعلت في وقت كان الاستنقاع قد وصل حدّه، والجوع أصاب نصف الأمة التي تراجعت في كل المجالات ـ كلها ـ حتى غدت في الحضيض.. مما أصاب الناس في كرامتها وفي رجائها بحياة آدمية قبل إصابة البطون وبمقداره.

حطّ الأمل. فتفجرت طاقات إبداعية لم تكن محسوبة. وظهر قدر هائل من التآخي والتضامن ومثلهما من التسامي. قال المتضررون العفنون: لا بد من خنق الأمل ذاك: انتشاء الناس وشعورهم بذواتهم وبالإمكان وبالاحترام أخطر من أي سلاح.

موسيقى «التحرير» عنوان لرحابة اللحظة الاستثنائية

بينما امتدت الطوابير الطويلة على مداخل ميدان التحرير لساعات، راسمة بالمنتظرين في صفوفها الحد الفاصل بين عالمين، لتقودهم بعد إجراءات التفتيش إلى عالم الثماني عشرة يوم الطوباوي، كانت صفوف من المعتصمين داخل الميدان تستقبل القادمين الجدد بأهزوجة «أهلاً أهلاً بالثوار.. أهلاً أهلاً بالأحرار» على الإيقاع المنضبط لدقات الأواني المعدنية وتصفيق الأيدي التي صلّبها برد كانون الثاني/ يناير وحماء ثورته. أضحت موسيقى مراسم الاستقبال عنواناً ليوتوبيا التحرير، وأغاني رامي عصام (فقيرة الموسيقى، ساخرة النصوص، سهلة الترداد) أيقونته العفوية جنباً إلي جنب مع طربيات «مصطفى سعيد» المؤلمة في ثقلها، ومعها تراث «سيد درويش» و «الشيخ إمام» الذي أعادته للحياة فرقة «إسكندريلا». كانت موسيقى التحرير عنواناً لرحابة لحظته الاستثنائية، فاعتلاء كورال كنيسة «قصر الدوبارة» الإنجيلية لمنصة الاعتصام بترنيمة «بارك بلادي» التي طالما ردّدها المعتصمون من المسلمين بحماسة لا تقلّ عن رفاقهم الأقباط، بدا وكأنه كسر لتاريخ طويل من التنابذ الطائفي وتحرير للفضاء العام من قيود السلطة والهويات الخانقة.

لكن مزاج الميدان الموسيقي لم يكن متسامحاً على إطلاقه. فمحاولة المغني واسع الشهرة «تامر حسني» التسلل إلى التحرير بتوبة متأخرة، انتهت بالقبض عليه من اللجان الشعبية، ثم طرده خارج الاعتصام بعد قدر لا بأس به من الإهانة. لاحقاً، وعبر شهور من الاضطرابات السياسية، كان الفرز الموسيقي يسير على أشده جنباً إلى جنب مع عمليات الفرز السياسي. فبينما وجد فيه الموسيقيون المحرومون من الولوج للفضاء العام نقطه للتلاقي بينهم وبين جمهور باحث عمن يمثله، تصدى فريق من موسيقيي «الرواج» لشن حملة إعلامية ضارية على الثورة، كان على رأسها «عمرو مصطفى»، واندفع فريق آخر منهم لتضمين الموضوع الثوري في منتجهم الموسيقي لأغراض ترويجية. كانت تلك إرهاصات أولية لمعركة تحتدم عند تقاطع يشمل الوضع السياسي والاجتماعي القائم، والرغبة في التغيير، والموسيقى الرائجة ومؤسساتها، والحاجة لطرح خيار موسيقي بديل.

الموسيقى البديلة وإشكالية التعريف

ارتبط صعود مصطلح الموسيقى البديلة بتلك الثورات، فشهد العام 2011 تدشين «مهرجان قرطاج للموسيقى البديلة»، وبعده بعامين مهرجان «دم تك» للموسيقى البديلة في عَمّان بالأردن، بالإضافة لعدد من الملتقيات انطلقت تحت مظلة المصطلح نفسه في دول عربية منها لبنان وفلسطين ومصر... وعلى الرغم من رواج المصطلح في الأدبيات المكتوبة بالعربية مؤخراً، إلا أن الموسيقى البديلة تواجه المعنيين بتحليلها بإشكالية اصطلاحية غير هيّنة. فاعتماد المصطلح على صيغة سلبية، تعرّف ذلك النوع الموسيقي فقط بنفي تنميطه داخل أي من القوالب الفنية المعتمَدة، كالموسيقى التجارية والفولكلورية والشعبية والغربية.. لا يطرح تأطيراً واضحاً أو تعريفاً متماسكاً لمحدِّدات الموسيقى البديلة جمالياً أو إيديولوجياً. بالإضافة لذلك، يبدو المصطلح غير منضبط إجرائياً، فيتم استبداله أو إحلاله بمصطلحي الموسيقى المستقلة حيناً وموسيقى «الإندرجروند» حيناً آخر. وبينما يفضل فنانون تونسة وأردنيون ولبنانيون (والمؤسسات الثقافية في بلدانهم) استخدام مصطلح «البديلة»، تظل المؤسسات الثقافية الأهلية المصرية وفنانوها وفية لمصطلح «الموسيقى المستقلة» الأقدم. يرجع الاخلاص المصري للمصطلح الثاني للخلفيات التاريخية لعملية الإنتاج الفني في مصر، والتي ظلت حكراً على الدولة منذ مطلع الخمسينيات وحتى منتصف سبعينيات القرن الماضي، ثم تمّ تقاسم مواردها وأسواقها لاحقاً بين مؤسسات الدولة ورأسمالية شبة احتكارية ارتبطت عضوياً بالنظام الحاكم. من هنا وجد الموسيقيون المصريون الباحثون عن تجريب بدائل مفارِقة للسائد ضالتهم في مصطلح الموسيقى المستقلة، لتوصيف سعيهم لتحرير منتجهم الفني من ارتباطه تمويلياً بمحددات السلطة ومتطلبات السوق الاستهلاكية، في تأطير ضمني لمنتجهم الموسيقي على أساس إيديولوجي معني بطبيعة عمليات الإنتاج الفني وموارِدها ومحدداتها السوقية، من دون إبداء حماسة مماثلة لصيغة الفن البديل التي تبدو معنية أكثر بجماليات الشكل الموسيقي وتفاصيله التقنية.

الفرص الغنية.. والأخرى المؤلمة

فتحت الثورة المصرية آفاقاً استثنائية أمام موسيقى البدائل على أكثر من مستوى. فتحول الموسيقى الى ركن أساسي من الفعل الاحتجاجي والثوري، كسر الحصار التي فرضته الدولة في السابق على الفن المستقل، وفتح الفضاء العام بكامله كساحة مباشرة للتفاعل بين الموسيقيين والجماهير من دون وسائط. لم يكن الغناء في التظاهرات هي صيغة التحرر الوحيدة، فمهرجان «الفن ميدان» الذي جاب ميادين المدن المصرية بعد الثورة لتقديم فنون مستقلة، بينها الموسيقى مجاناً للجمهور، كان فرصة لموسيقيين اقتصرت عروضهم في السابق على قاعات وسط مدينة القاهرة ودوائر نخبتها الثقافية المحدودة، لمواجهة جمهور لم يعهدوه ولم يعهدهم. تبِع كسر حصار الفضاء العام في الشوارع والميادين، انفتاح غير مسبوق في دوائر الإعلام، فوجدت أغاني «حمزة نمرة» و «إسكندريلا» مكاناً في برامج محطات الإذاعة الخاصة، وأضحت استضافة موسيقيين مستقلين مصريين وعرب في برامج «التوك شو» في قنوات التلفزيون الخاصة والحكومية فقرة شبه أسبوعية، بل وجدت فرق الغناء البديل طريقها لبرنامج «البرنامج» الأوسع انتشاراً على الإطلاق.

دفعت الروح الجماعية التي أشعلتها الثورة، صيغاً مختلفة لتأليف المنتج الموسيقي، فتوّج «مشروع كورال» رحلته الفنية الذي بدأت قبل الثورة بقليل بأغنيته الأكثر شهرة «حياة الميدان»، وجاب مدناً مصرية وعواصم عربية وأوروبية، مُشركاً جمهوراً من غير المحترفين في تأليف كلمات وألحان الأغاني وتأديتها جماعياً. من جانب آخر، طرحت الثورة أسئلة حول دور الموسيقى في المجال العام، وانطلقت قوافل «المورد الثقافي» التي حوت موسيقيين وفنانين مستقلين في مجالات أخرى لمخيمات اللاجئين السوريين في دول الجوار السوري، بالإضافة لقرى معدمة في صعيد مصر، تحت عنوان «قوافل الإغاثة الثقافية».

لكن انفتاح الموسيقى البديلة على الفضاء العام حمل معه خيارات مؤلمة أيضاً. فسرعان ما اندفع فريق من الموسيقيين المستقلين لاستغلال ومضة الشهرة الاستثنائية التي أتاحتها الثورة للاندماج داخل منظومة الإنتاج الفني الاستهلاكية، مقدمين عروضاً برعاية شركات رأسمالية ضخمة. بل لم يجد بعض منهم في بعض الأحيان غضاضة من المشاركة في عروض أمام رجالات الدولة وبرعايتها. فعلى سبيل المثال، قبل المغني «محمد محسن» دعوة للغناء أمام رئيس الجمهورية ولفيف من رجالات السلطة، وإن كان قد تمّ منعه في آخر لحظة قبل العرض. وقدم فريق «إسكندريلا» عرضاً برعاية السفارة المصرية في لندن توخوا فيه تقديم أغانٍ ذات صيغة وطنية عامة، من دون التعرض لأعمالهم التي تحمل المضامين الثورية والصدامية مع السلطة.

على الجانب الآخر، أعتبر فريق أكثر راديكالية من الموسيقيين المستقلين أن الاندماج في منظومة السلطة أوالإنتاج الاستهلاكي خيانة إيديولوجية لمفهموم الفن المستقل، ودفعتهم الظروف السياسية وتراجع المد الثوري ثم انكساره بالكامل لاحقاً، أما للتمترس داخل قالب الموسيقى النضالية أو للانسحاب مرة أخرى الى دوائر جمهورهم النخبوي.

خاتمة

أفضى الانقسام العميق بين معسكرَي الموسيقى المستقلة حول الخطوط الإيديولوجية، وعودة محاصرة الفضاء العام بالكامل بعد «30 يونيو»، الى طمس أسئلة كانت وما زالت واجبة حول جماليات القالب الموسيقي وتجديده والاشتباك معه فنياً. كان ولاء الموسيقيين المصريين لمصطلح الموسيقى المستقلة على حساب الموسيقى البديلة، للإيديولوجي على الجمالي، ابن لحظتهم التاريخية التي ربما كان من المستحيل الفكاك من زخمها الاستثنائي. وكان عنواناً لضياع فرص من الظلم تحميلهم وحدهم أوزار تحطّمها على صخرة الوضع السياسي والمواريث الفنية الثقيلة. لكن اشتباك الموسيقى في صيغتها المستقلة أو البديلة في مصر، مع ثورتها، فتح آفاقاً جديدة لطرح أسئلة حول الجمالي والإيديولوجي في الفن ومعها في السياسة، وورّط موسيقييها في خبرات إنسانية وفنية فريدة يصعب محوها، وطرح وعوداً بأن مسارات الموسيقى البديلة في المستقبل لها أن ترتبط بحراك المجتمع إجمالاً في بحثه عن بدائل وتمرّده على الأمر الواقع.. الذي لا بدّ له أن يزول!

شادي لويس

كاتب واختصاصي نفسي مقيم في لندن، من مصر

غرافيتي عمار أبو بكر - مصر

معازف: استعادة التاريخ أهمّ من التاريخ

تبدأ مقطوعة «مالكش ديّة» للموسيقي المصري موريس لوقا من دون مقدّمات تطفو على مستنقعات عاطفيّة، وتضجّ مباشرة بأصوات مضخّمة للمزمار والأورغ والطبول على أنواعها، لينقضّ على المقطوعة صوت «علاء فيفتي»، بعد 17 ثانية فقط، كأنّه حمولة زائدة، لكنّها ضروريّة للاستمرار، باثّاً رسائل على شكل جملٍ قصيرة غير مترابطة، لا تروي قصّة بقدر ما تحاول حماية الإيقاع من الانهيار: «الدنيا غابة، وغلّابة. في الحتّة ديّا، مالكش ديّة. ضربة قويّة، هتروح ضحيّة. دمّك ساح، مفيش سلاح».

يمثّل لوقا، الذي أصدر أسطوانته «بنحيّي البغبغان» العام الماضي على موقع «معازف»، جيل موسيقيين عرب يبدو أنّهم قرّروا، في لحظة واحدة، العبْث بالنوستالجيا المقدّسة، والانغماس، بدلًا من ذلك، في أدوار جماليّة مقترحة من تفاصيل يوميّة تتجلّى في ذلك الإحساس بأن كل شيء سينهار فجأة. لكن مع الوعي بأنّه ليس ثمّة طريقة لمنع ذلك إلا بالتخلّي عن امتياز تقليد الواقع والتفكير بأنّهم جزء منه. لذلك، يمكن التفكير في هؤلاء الموسيقيين على أنّهم يطفون في بحيرة باردة، لا تظهر منهم إلا رؤوسهم وهم يحاولون التنفّس.

بدأت «معازف» في نهايات العام 2012، من هذه الحاجة إلى الارتباط بالواقع، الأمر الذي فرضته بدايات الثورات العربيّة. فبعد ثلاث سنوات من استعمال امتيازات التفكير والتحضير لإنشاء الموقع، تكثّفت تلك اللحظة على الأرض كصدام بين ما يجب أن يحدث، وما حدث فعلًا. فإذا كنّا نتكلّم عن «لحظة ثوريّة»، فهذه اللحظة تمثّلت في القبض على المسافة النقديّة بين كل ما تمثّله الثورات، وكل ما تمثّله السلطة والاضطهاد والأبويّة الدينيّة. من هنا جاء الاسم الذي يشير إلى الموسيقى كآئم. ومن ثم النّظر إليه كما يُنظر إلى الموروث الثقافي العربيّ، على أنّه آت من منطقة مقدّسة وغيبيّة ترفض النّقد والمسأَلة العقلانيّة.

بدأنا كمراقبين نشاهد كيف نزل النّاس إلى الشّوارع ليغنّوا: «زيّنوا المرجة» بدلًا من «غداً يومٌ أفضل». ونلاحظ في هذا السياق كيف أن استعادة الشيخ إمام في ميدان التحرير أهم من الشيخ إمام بذاته. وكيف تستعاد الأهازيج الشعبيّة من قصور الثقافة الرسميّة. هكذا أدركنا أن استعادة التاريخ وتوثيقه ربما يكونان أهم من التاريخ نفسه. خاصّة عندما تقوم التحالفات المعقّدة بالاستيلاء على التقبّل الشّعبي للموسيقى غير المفتعلة، من خلال إيهام المتلقّين بما يجب سماعه، ومن ثمّ: الاستيلاء على التاريخ.

هذه «اللحظة» كانت حاسمة أيضاً في التواصل مع الكتّاب والصحافيين والباحثين العرب، سواء أكانوا مختصّين بالموسيقى العربيّة أو مهتمّين بها. هكذا توسّعت شبكة «معازف» لتصل بين كتّاب من فلسطين وسوريا ومصر والعراق واليمن والسعوديّة والأردن ولبنان والجزائر والسودان وغيرها.. وذلك في القبض على «اللحظة» من خلال التعامل مع الإنتاجات الموسيقيّة العربيّة الجديدة التي انفجرت إبّان الثورات العربيّة، والتي أثبتت الصحافة التقليديّة والقنوات الإعلاميّة السائدة قصورها عن التعامل معها.

نعيش اليوم عصراً مختلفاً يضغط بعبئه على الجميع بمستويات متعدّدة. إذ يشعر الكثيرون بأنّنا في هذا المكان وهذا العصر «مالناش ديّة».

«معازف» تشبه صوت «علاء فيفتي»: تحاول أن تقبض على اللحظة المكتظّة، تبدو كأنّها حمولة زائدة تعبث بالنوستالجيا والمقدّس، لكنها ضروريّة في محاولة حمايتها للإيقاع كسياق تاريخي. الموسيقى، فعلًا، دمويّة وحاسمة ضد المطلق وضد السّلطة. وشوارعيّة: خربجة كباريهات ومعازف محرّمة.

أحمد الزعتري

* معازف مجلة متخصصة بنشر المقالات والدراسات حول الموسيقى العربيّة. أسّسها ويحرّرها ويدير محتواها معن أبو طالب وأحمد الزعتري بالتعاون مع «إيقاع».
www.ma3azef.com

الغرافيتي في اليمن
حملة «الجدران تتذكر وجوههم» كشفت تآمر.. الشركاء

في منتصف العام 2012، دشن الفنان مراد سبيع أول حملة للغرافيتي في اليمن، وكانت الحرب لم تضع أوزارها من شوارع العاصمة صنعاء، المقسمة إلى أكثر من بؤرة عسكرية. ولذا استهدفت الحملة تلوين الجدران في نقاط التماس بين «الإخوة الأعداء»، مثل شوارع «كنتاكي» و «الحصبة» و «الستين» و «جولة الرويشان»، وهي وسط العاصمة. وظهرت الصور الأولى صادمة، حيث نزل الجنود والمسلحون للرسم مع الشباب، بل وتباطأت حركة المرور السيَّارة لأن العائلات توقفت لمشاهدة الألوان الزاهية، وأطل الأطفال من نوافذ السيارات، في حالة احتفال وبهجة قلت مشاهدتها خلال العام الذي سبق.

ولا زلت أتذكر تعليقات أصدقاء من سوريا، وهم يذكرون تلك الرسوم ويعتدّون بها كدليل على حالة التعايش والسلام التي ابتدأها متطوعون خارج الدائرة الرسمية، بعد أيام قليلة من الحروب الطاحنة التي لونت تلك الجدران بصور مروعة من الدماء والدمار.. ومع ذلك، كشفت الحملات المتتابعة لفن الغرافيتي، والتي ابتدأت بحملة للرسم الحر، ولم تنته عند الحملات الحقوقية المنظمة، عن تباينات وفجوات داخل منظومة الثورة.

فبعد وقت قصير من حملة «الجدران تتذكر وجوههم»، التي تلت حملة «لوِّن جدار شارعك»، وكانت الثورة لم تزل مخيِّمة في الشوارع، جرى طمس منظم لوجوه المخفيين قسرياً الذين استحضرتهم الحملة الغرافيتية. ففي شارعي «الستين الغربي» والشوارع المحيطة بالجامعة الجديدة والقديمة، والتي كانت تقع ضمن شوارع «ساحة التغيير» التي انتفضت ضد الرئيس السابق علي عبد الله صالح، تعرضت بعض صور المخفيين للطمس.

برزت بجلاء أمور عدة، منها مدى تورط قادة انضموا للثورة في عملية الإخفاء القسري أثناء وجودهم كجزء من آلة النظام السابق القمعية، خاصة أن بعض القادة المنضمين كانوا موضع اتهام سابق من قبل الثوار أنفسهم، باعتبارهم اليد الدموية للنظام، إلى جانب أن قادة في بعض أحزاب المعارضة تورطوا أيضاً في مسألة الإخفاء والتعذيب القسريين في البلاد بحكم قربهم من النظام السابق، وعملهم في أجهزة الاستخبارات سيئة الصيت.

في «شارع الستين»، موّل الجنرال المنضم للثورة، علي محسن الأحمر، والمتهم بكونه يد نظام صالح الدموية، حملة مشابهة لحملة المخفيين قسرياً. فالجنرال بدا منزعجاً من حملة «الجدران تتذكر وجوههم» الثورية، والتي رحبت بها المكونات السياسية والثورية في البلاد، فعملت حملة الغرافيتي التي موّلها على الرسم فوق لوحات الجزء الأكبر من حملة المخفيين، هذا إلى جانب تعرض بعض وجوه المخفيين في شوارع الجامعة الجديدة والقديمة لطمس أعين أصحابها، بشكل مقصود وبانتقاء وعناية. وخيّل إلي وأنا أرى الصور المطموسة، بأن أحدهم تسرب ليلًا إلى هذه الصور وأراد إعماء نظر أصحابها، خاصة أنها تمركزت على مداخل ومخارج هؤلاء القادة السياسيين.. الذين شعروا ربما بأن ضحاياهم يحدقون في وجوههم..فقلقوا واقتلعوا العيون! وقد طمست ناصية بعض الوجوه اعتقاداً من الفاعل أنه يطمس العينين، ما يحملني على الاعتقاد بأن الفعل وقع ليلًا، تحت جنح الظلام.

يجب الإشارة هنا إلى أن بعض المخفيين قسرياً غيّبوا خلال الـ33 عاماً من حكم صالح، ولا يزال الفاعلون، فاعلين أساسيين في المشهد السياسي اليمني حتى الوقت الحالي. الصور التي رسمت على الجدران المقابلة لمنزل الرئيس السابق صالح تعرضت لطمس كامل، وبشكل جريء، وبما يشكل دليلا على وقوف ذلك النظام وراء الأمر، وبدون أي وجل.

تأثير حملة «الجدران تتذكر وجوههم» تثبت أن حملة الغرافيتي، التي قوبلت بداية باستهانة من الجميع، عادت ففرضت شكلًا آخر من الحقائق، حتى لدى الثوار أنفسهم، وكشفت جزءاً من الآلة القمعية التي تذرعت بالانضمام للثورة للإبقاء على مصالحها، فيما كانت الآلة الإعلامية للثورة تمجد هؤلاء القمعيين وترفع من قدرهم.

ريان الشيباني

فنان تشكيلي، وعضو اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين

عمار أبو بكر ـ مصر

مشروع Zoo ـ تونس

جنزير ـ مصر

السفير العربي
22 كانون الثاني 2015 . العدد 12978
Thursday January 22, 2015

بسلميّة بيستشهد شاب اسماعيلي بتشييع شهيد سنّي
بمقبرة للجعفريّة بتحرِق حقول الشعب
رح احرِق حقول نفطك

راب، هاني السوّاح (درويش)، سوريا

سنة رابعة ثورة

حطّ الإحباط. بدأ من الإمساك بالسلطة من جديد، وهو الأسهل، وهو ما يوفر أدوات للقمع وكذلك لادِّعاء النطق بشرعية من يُقرِّر.. ولكن شيئاً ما كان قد وُلد عندما امتلك الناس الحلم ولو لوقت قليل، والتقطوا حريتهم، حرية التفكير والقول والفعل والاعتراض، وهو ما يسمى «الثورة». في تونس ومصر وليبيا وسوريا والبحرين واليمن بشكل صريح، وفي سواها بالترقب، تصارع الأمل والإحباط. وما زالا.

نحاول في هذا الملفّ التقاط تلك الحركة، بلا نوستالجيا بائسة بل كاستثمار في المتغيّر الإيجابي القائم، الذي لا يزيله القتل والاعتقال وديماغوجيا السياسة كما تُمارَس.

استهلاكية الشعر

ـ الشعر اليوم بات مرآة مكسورة.. بينما قيل قبلاً:

«أيتها الحياة، يا أرملتي»

الشِّعر عابر للزمن. سنعيد قراءة قصائد لأمرؤ القيس الآن وكأنها كُتبت في الطابق العلوي من ناطحة سحاب، بينما سيذهب الكثير من الشِّعر السطحي الذي يكتب اليوم إلى الزوال.

لم يَعد العنف في الشوارع وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، ولم تعد القنابل ورائحة البارود على الجبهات المفتوحة في بلدان الثورات العربية فحسب، وإنما بات يتسرّب إلى النصوص، إلى الكتابة، وإلى الشِّعر على وجه التحديد. هكذا جُرّ الشعر إلى مكامن العنف، وصار جزءاً من مشاجبه ومن ديكوره العام.

أوقفت الحرب الأهليّة في لبنان عباس بيضون عن كتابة الشِّعر لسبعة أعوام. جنون الحرب والصخَب يجعل الشِّعر متوتّراً ومتسرّعاً ولاغيّاً للتأمل. لكن الشِّعر يكسر القواعد، شؤون كتابته ليست مُسلّمات، فمحمّد مظلوم، الشاعر العراقي، كتب قصائد وهو سائق دبابة في الحرب العراقيّة الإيرانية: «أيتها الحياة، يا أرملتي».

وإذا كان العنف والحرب لا يعنيان التوقّف عن الكتابة، إلا أن هذا لا يعني مجاراتهما، أو التماهي معهما، وإنما إدانتهما. إلا أن شابا سوريا يكتب من وسط الرماد: «في ليلة رأس السنة / سأهديك حزاماً ناسفاً»، بينما تهديه حبيبته «انفجاراً في كراج السومرية أو تحت المتحلق الجنوبي»، ويهديهما الله «قذيفة هاون عمياء». ليس هذا شعراً غريباً، إنه يُكتب اليوم بكثرة. صار نمطاً وأسلوباً، أصبح مألوفاً، وله أماكنه التي يُقرأ فيها، ويُدافع عنه. وليست المشكلة وحدها في بذرة العنف داخله، وإنما تلك السطحيّة الموجودة فيه.. ليس الشِّعر منعزلاً عن الواقع، ولا متنكّراً له، فهو ابن الحياة، لكن للشِّعر طريقته الواعية في وصف الأمور والتفكّر بها، هو ليس ناقلا حرفيا لما يحدث، وإنما متأمل لما تؤول إليه الأحداث. الشِّعر ليس ابن العجالة والعفويّة الساذجة، هو روح العالم الجوانيّة، المكسورة والمذعورة والخائفة والثائرة والحُرّة في آن. هو ليس استهلاكا للأحداث ووصفها وانطباعها، وإنما غائر في مجاهلها وقلقها.

الشِّعر اليوم بات مرآة مكسورة. دخل مرحلة الهزّات. أفسدته الميديا. صار «نوع الشِّعر» الغارق في «العاديّات» و «المُفرقات» يخلق نشوة كبيرة لدى القرّاء على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، فهو بالنسبة لهم صادم وجديد وينهل مفرداته من الوقائع اليوميّة. لكن الشِّعر عابر للزمن. سنعيد قراءة قصائد لأمرؤ القيس الآن وكأنها كُتبت في الطابق العلوي من ناطحة سحاب، بينما سيذهب الكثير من الشِّعر السطحي الذي يكتب اليوم إلى الزوال، يُشطب بعد يوم من نشره، لن يعود له مكان فور اختفاء الفوران، لا يعلق منه شيء في الذاكرة بعد حلول الرخاء. هو شعر مرتبط بالحدث وينجلي بزواله. وهذه أزمة تقنيّة، لأنه شعر مباشر يعاني من التسطيح لدرجة اقترابه من المقال السياسي أو الخاطرة، أو الستاتوس على «الفيسبوك».

يكتب أغلب الشّعراء بتحفيز المتلقي الذي يعاني من الاختصار في الحركة والقراءة، ويُؤخذ الشاعر بمجاراة المتلقّي وكتابة شعر سهل جدّاً وطيّع وفكاهي. وهذه الكتابة لا تجعل الشعر قابلا للعيش بسبب ارتباطه بزمان ومكان محددين، بجميع أحداثه وشخوصه، من دون توريات أو استعارات، يسرد الوقائع من دون كثافة ولا إيجاز، يردم المسافة بين الشِّعر والنثر.

لا يلغي كل هذا وجود شعراء جيدين، مُصغين لهمسهسة الطبيعة، وقعقعة الحرب.. لكن الطغيان للسيئ، والسيئ مُعْد، خاصة بوجود الإعلام الاجتماعي. يطفح السوء على السطح، ويُلغي أرشيف الحياة التي يكتبها الشِّعر، الحياة بسعادتها وألمها وخوفها.

عمر الجفّال
كاتب صحافي من العراق

روحي

بائعُ الأدعيةِ

يبيعُ اللهَ
وثمّةَ من يشتريه حرْزاً
وثمّةَ فتاةٌ تقتنيه زوجاً
وثمّةَ طفلٌ عامرٌ بالبكاء
ينثرهُ على الإسفلتِ دراجةً هوائيةً.

يسوقُ الملائكةَ بيد
وبيدٍ أخرى يهشُّ على شياطينه

برزاذ الآلهة
يلوّنُ جلبابهُ
بحنكة تاجرٍ، يقودُ رَهْطاً إلى حتفهم.

بربيعٍ لا ينتهي
لا ينتهي هو.

روحي

رُوحي صَحراءٌ وأيامي رمال
وأولئكَ البدوُ العَطاشى أحلامي.

بالأمسِ
شطفتُ عَقلي بالمَودّة
ودَهنتُ قلبي بالرحيلِ،
تَركتُ أصابعي وأخذْتُ حَقيبتي.

كَانتْ السيّدةُ الأنيقةُ تَبيعُ شَعرَها
كانتْ البلادُ خواتمَ تتقافزُ على الأضرحة
والهويّاتِ تنطُّ إلى الشوارعِ كالغِيلان.

قُلتُ رُوحي صحراءٌ وسأوجعُها بالتحليلِ
أضعُ كلَّ مَباضعي في قلبها
أتركُها تَنزفُ وتَجفُّ على الشراشف
وأغسلُ كلَّ أثارَها.

مرثيَّة للوقت

(...)

لا هيبة في تمجيد موت الوقت، ولا رصاصات أخيرةٌ يطلقها مشجّعو كرة قدمٍ متحمّسون، ولا خدود تُخمَش وصدوراً تندلق. ولا صورةً تُعلَّق في ساحة المدينة لاستذكاره، فقط، الشوارع تكتظ بالصمت والحاضر والماضي يخبطان بعضهما بعضاً في زقاق.

عمر الجفال
مواليد 1988 العراق

بعد ولادة ساجدة

نُبْنَا عن الجرحى
تعهّدنا المذابح
أينما سقط الرصاص فإننا من أطلق القتلى عليهم
وانتظرنا في طوابيرِ ملاكَ الحرب
كي نستبدل الموتى بأكثرنا حياةَ
وانتظرنا تصدر السلطاتُ قبل شهادة الميلاد
أوراق الثبوت على الشهادة
كلنا قتلى
ولكن بعضنا انتظر الزيادة
والإذاعة حذرتنا:
أغلقوا أحلامكم
يتسلل الغاز (المُصرّح) بعد (قانون السلامة)
ثم يصمت في المذيع كلامه
تركوا لهم أحداً، ولم يُرجع له عيني قتادة (*2*)
والإذاعة نبهتنا:
أولا ـ موتوا على مَهلٍ
ليبتكروا لكم سببا وجيها
ثانيا ـ لا تكثروا من نشرة الأخبارِ،
ناموا جيداً
ومذيعة لست بلاغة نهدها المسؤول،
فاستلمت وظيفتها تقول:
هناك ـ كحّت ـ
شاهد لم تكشف السلطاتُ/ أو لم تكتشفه بعدُ
قال رأيتهم يتسللونَ
ويدخلونَ الموت دون خريطةٍ

جبناءُ

عمداً يدهسون بلحمهم (خط المشاة) ومركبات الأمن
واتصلت مشاهدة تقول:
رأيتُ كهلا قد تجمهر مفرداً،
ورأيتُ أيدٍ خارجية،
روّعونا،
لم يعد زوجي ينام معي
وقال متصلٌ:
أنا لا أدخل الحمامَ،
صرتُ (أشخُ) ملتبس الإرادة
ومندسّون جداً
أينما سقط الرصاص فإنهم من أطلق القتلى
ولا أدري لماذا
كلما قرّوا شهادة موتهم يستصدرون لهم ولادة
وانتظرنا
تصدر السلطاتُ قبل شهادة الميلاد
أوراق الثبوت على الشهادة
كلنا قتلى
ولكن بعضنا انتظر الزيادة.

*1 . ساجدة: رضيعة بحرينية قتلها غاز الدولة.

*2 . قتادة بن النعمان، قاتل مع محمد في أحد، فسالت عينه بسهم على خده، فأعادها له صحيحة في محجرها.

علي الجلّاوي
مواليد 1975 البحرين

ما بين الهمس والمدافع

– «تحتك فيه ناس عاوزة الأمل/ مش عاوزه؟/ سيبهولهم!»
– «الجدع جدع والجبان جبان، واحنا يا جدع، بايتين في الميدان»
– «المجد للباقي ع العهود والجي/ المجد للشاهد وللمشهود من الشُهدا/ المجد للثابت ع المبدأ وع الكلمة/ المجد لكل شهيد لسه ماماتش».
– «نجّينا م الشرّير/ ارحمنا م التجربة/ المعركة المرّا دي / مش هيّنة / المعركة غايمة / غربال ورا غربال/ وفْ صفّنا الجنرال / المعركة مرعبة».

قبل الثورة بسنوات قليلة، كان يُنظر لقصيدة النثر في مصر بوصفها قاطرة التغيير في المزاج الشعري. سمعتُ مرة الشاعر الراحل حلمي سالم وهو يقول وصفاً بليغاً في هذا الموضوع: «شعر التفعيلة يملك الشرعية الدستورية في مصر الآن، أما قصيدة النثر فتملك الشرعية الثورية». صخبٌ شديد أثارته قصيدة النثر وقتها، مؤتمرات ومؤتمرات بديلة أقيمت على شرف قصيدة النثر وقصيدة النثر البديلة. هذا الصخب كان غريباً على قصيدة طالما تفاخرت بـ «همسها». التفاخر بالهمس نفسه كان غريباً.

في الوقت ذاته، كانت خطوات الشاعر أحمد فؤاد نجم تقترب من دار «ميريت».. بعد اختفاء طويل عن الأنظار، وبعد أن بدا أن شعر العامية الأيديولوجي (الزاعق/ الفكاهي/ المباشر) لنجم قد خفَتَ نجمه. وفي «ميريت» شارك نجم في حركة «كتاب وفنانين من أجل التغيير»، التي كانت الذراع الفني لحركة «كفاية»، وبعدها لم تنقطع أقدامه عن دار النشر الصغيرة التي جمعت الكثير من الشباب. نجم الذي كان نجماً لعصر سابق تحاور فيه بكلماته مع الشيخ إمام بعوده، بدأ يعود بالتدريج ليصبح نجماً للعصر القادم أيضاً. وشيئاً فشيئاً بدأ الشباب يعلنون ضيقهم من قصيدة النثر.

في ميدان التحرير، وبعد أن تحول الفنانون، ومعهم كل واحد يرغب بذلك، رسموا على الجدران، فازدهر الغرافيتي. وكذلك الراب والشعر والموسيقى والمدونات حاملة مقالات كل من لديه رأي أو فكرة.. وما أكثرهم. قد تكون القبضة الأمنية محْكمة، ولكنها لا تملك محو تلك اللحظة: لا إزالة طعمها من النفوس ولا معناها من العقول. لا «الميدان» إلى رمز في ذاته، راج هتاف «الجدع جدع والجبان جبان، واحنا يا جدع، بايتين في الميدان». هكذا حُرف بيت من أبيات نجم بشكل بسيط ليقوله الجميع في المظاهرات. وفي كل مكان من الميدان ظهرت حلقات تغني «ناح النواح والنواحة على بقرة حاحا النطاحة». مال كف الميزان بشكل عنيف وفجائي ناحية شعر العامية المباشِر والمسيَّس الذي طالما احتقره الشعراء المصريون، وتخلص شباب الشعراء من وصمة العار التي لاحقت هذا النوع من الشعر، وأعادوا اكتشاف الأبنودي، خاصة في قصائده الثورية. وفي 2013 أصدر الشاعر مصطفى إبراهيم (مواليد 1986) ديوانه «مانيفستو»، الذي عدَّ، كما يدل اسمه، بيانا للثورة، وتأسس على قصيدته الرئيسية لمذبحة ماسبيرو، وحقق أعلى المبيعات ووصل الإعجاب به لدرجة كتابة بيت من أبياته بخط عريض على أحد جدران وسط البلد، حيث كانت تجري المعارك اليومية بين المتظاهرين والداخلية: «تحتك فيه ناس عاوزة الأمل/ مش عاوزه؟/ سيبهولهم». كما أصدر مايكل عادل (مواليد 1987) ديوانه في عام 2012 عن الدار نفسها بعنوان «س 28»، وهو الاسم الكودي للمحكمة العسكرية في زهراء مدينة نصر، ويقول فيه: «المجد للباقي ع العهود والجي/ المجد للشاهد وللمشهود من الشُهدا/ المجد للثابت ع المبدأ وع الكلمة/ المجد لكل شهيد لسه ماماتش».

محمود عزت (مواليد 1984) شاعر عامية آخر كتب قصيدته «صلاة خوف» في أيلول/ سبتمبر 2013، أي بعد إزاحة محمد مرسي بأيام، ليتحدث فيها عن التجربة السياسية / الشعورية القاسية لـ «شباب الثورة» في تلك الأيام. يقول: «نجّينا م الشرّير/ ارحمنا م التجربة/ المعركة المرّا دي / مش هيّنة / المعركة غايمة / غربال ورا غربال/ وفْ صفّنا الجنرال / المعركة مرعبة».

لم يعنِ هذا أن قصيدة النثر الفصحى قد اختفت. بالعكس، ما زال الشعراء المخضرمون يصدرون دواوينهم بالفصحى، وينضم إليهم شعراء شباب أيضاً. الشاعرة إيمان مرسال تكمل مسيرتها الشعرية في 2013 عبر ديوان «حتى أتخلى عن فكرة البيوت». وما بين 2012 و2014، يصدر الشعراء الشباب إبراهيم السيد وملكة بدر وأميرة أدهم وهرمس دواوينهم الأولى أو الثانية، ويُحتفى بهم، ولا تفقد قصيدة النثر شرعيتها أبداً، كل ما في الأمر أنها لم تعد شرعية ثورية كما تم تصور الأمر منذ عشر سنوات، وإنما شرعية الهمس وسط ضجيج المدافع، كما يليق بشعر النثر أن يُكتب ويُحترم.

نائل الطوخي
روائي ومترجم من مصر

عمار أبو بكر ـ مصر

العربي السفير

كل واحد منا له فكرة وله حرية في التعبير
حرية التعبير تضمن لي ولو جزء بسيط
اني ماشي في درب التغيير

راب، Mc Swat ، ليبيا

متابعات

«يناير» الأمازيغ.. طقوس وأساطير

في الثاني عشر من شهر كانون الثاني/ يناير من كل عام، يحتفل الأمازيغ في الجزائر، على غرار إخوانهم في كل بلدان الشمال الإفريقي من واحة سيوة في مصر إلى مدينة طنجة في المغرب، برأس السنة الأمازيغية والفلاحية الذي يوافق هذه السنة العام 2965 حسب "التقويم الأمازيغي، الذي يسبق التقويم الميلادي بحوالي عشرة قرون. يطلق على الاحتفال محليا اسم «ينّاير» (بتشديد النون)، و yanuyar كلمة أمازيغية مركبة من كلمتين: yan وتعني واحد، و ayur وتعني الشهر. كما يطلق على الشهر الأول من السنة الأمازيغية كذلك تسميات «إملالن» و «أقورارن» حسب اختلاف المناطق واللهجات، وأيضا «بورت أوسقاس» أي ليلة السنة، ويعتبر البداية السنوية في ممارسة الأعمال الفلاحية.

يختلف الجزائريون في طريقة إحياء «ينّاير» من منطقة إلى أخرى، وهو أمر يعكس التنوع والثراء الذي يميز الثقافة الجزائرية. إلا أن هناك مجموعة من التقاطعات التي تجعل بعض الطقوس مشتركة بين الجميع، منها ذبح ديك أو دجاجة وتحضير وجبة عشاء فاخرة من أحد مشتقات القمح مثل طبق الكسكسي أو ما يشبهه، كالشخشوخة أو الثريد التي تطبخ باستخدام سبعة أنواع من الخضار. وتقوم المرأة بأغلب طقوس الاحتفال وكذا بمشاركة الأطفال (تعبيرا عن الخصب والنمو)، في الوقت الذي يكتفي فيه الرجال بمساهمة رمزية.

ومع كل دورة عام جديد يطفو إلى السطح تساؤل عن كيفية تمكن طقوس ينّاير الاحتفالية من الصمود لمدة ثلاثين قرناً دون أن تندثر ويلفها النسيان؟ أي كيف تمكن أمازيغ الشمال الإفريقي، رغم الغزو المتكرر لأرضهم بدءا من العهد الفينيقي لغاية الاستعمار الفرنسي، أن يستمروا في إحياء «ينّاير» عاما بعد عام من دون أن يتخلوا عنه أو ينسوه؟

للإجابة، علينا السفر بعيدا إلى لحظة البدء الأول لهذا الاحتفال، أو ما يطلق عليه في الأنثروبولوجيا الدينية «لحظة التكوين»، فنجد أنفسنا مجبرين على الالتجاء للأساطير في محاولة لاستكشاف لحظة الولادة الفارقة تلك. يرى أصحاب نظرية الأصل الطقسي للأسطورة التي ظهرت لأول مرة في كتاب «دين الساميين» لمؤلفه روبرتسون سميث، أن الطقوس القديمة تفقد بمرور الزمن معناها وغاياتها، فتتحول إلى مجرد حركات لا معنى لها. وهنا تأتي الأسطورة لكي توضح أصل الطقس ومعناه، وتقدم تبريراً مقنعاً لتلك الاحتفالات التي تتناقلها الأجيال. وبالتالي فالأسطورة والطقس مترابطان، ولا بقاء لأحدهما دون الآخر، فالأسطورة بحاجة للطقس لضمان خلودها، والطقس بحاجة للأسطورة لتبرير وجوده والحفاظ على فعاليته.

الفرعون الأمازيغي

يرتبط إحياء طقوس«ينّاير» بمجموعة من الأساطير التي يرويها السكان المحليون، وأشهرها على الإطلاق أسطورة القائد الأمازيغي «شيشناق» قاهر الفراعنة الذي حكمت أسرته مصر لمدة قرنين. وتختلف الروايات اختلافا كبيرا في أصل «شيشناق» وكيفية استيلائه على بلد الأهرامات، فتذهب بعض الروايات إلى أنه من بني سويس وأنه صد هجوما قرب مدينة تلمسان غرب الجزائر قام به الفراعنة للسيطرة على بلاد الأمازيغ وهزمهم شر هزيمة وطاردهم حتى بلادهم واستولى عليها ونصب نفسه فرعونا لمصر وما جاورها.. وتم الاحتفال بهذا النصر العظيم واختياره ليكون بداية للتقويم الأمازيغي تقديرا وإجلالا لهذا القائد. في حين تذهب روايات أخرى إلى أن «شيشناق» ينحدر من قبيلة أمازيغية ليبية، وكان عادلا ومتسامحا لدرجة أن المصريين التجأوا إليه ليخلصهم من ظلم الفرعون، وقاموا بتنصيبه ملكا عليهم. فيما تذهب رواية ثالثة إلى أن «شيشناق» كان قائدا عسكريا في جيش الفرعون سمحت له الفوضى والاضطرابات التي عانت منها مصر أن يسيطر على البلاد وينصب نفسه فرعونا عليها.

وبغض النظر عن صحة المعلومات التاريخية الواردة في مختلف الروايات، فإن طقوس الاحتفال بـ «ينّاير»، إذا نظرنا إليها من منظور الأنثروبولوجيا الدينية، هي نوع من الطقوس الدورية الكبرى التي ترتبط بأساطير التكوين. فالطقس هنا هو الأسطورة وقد تحولت إلى سلوك يستهدف استعادة الزمن الميثولوجي البدئي حسب تعبير الباحث السوري فراس السوّاح.

أسطورة القائد «شيشناق» هي مجموعة من الأحداث التاريخية التي حدثت في الزمن الغابر، زمن البدايات، وهي تحكي لنا كيف تشكل الأمازيغ واكتشفوا هويتهم في مقابل الآخر ـ وهو هنا الفراعنة ـ وانتصروا عليه وأثبتوا تفوقهم وضمنوا تميزهم. وهذا الزمن الأول تتم استعادته وعيشه من خلال الطقس الدوري، لأن الزمن المقدس ليس زمنا خطيا يمتد من الماضي إلى الحاضر، بل هو زمن سرمدي يمكن للإنسان استرجاعه والدخول فيه، والأمازيغ في احتفالهم بـ «ينّاير» يدخلون في الزمن الأول من أجل الاستعانة بقوة الأصول لتجديد الحاضر وبعث الحياة في المستقبل، وبالتالي المشاركة بطريقة ما في إعادة صنع عالمهم وهويتهم.

يوم العجوزة

وبالإضافة إلى أسطورة «شيشناق»، يروي الأمازيغ أسطورة العجوز التي استهانت بقوى الطبيعة واغترت بنفسها ونسبت صمودها ضد الشتاء القاسي إلى قوتها، ولم تشكر السماء وشتمت ينّاير قائلة: «لقد مرت أيامك وكأنها ربيع، وها أنت ستغادر ليحل فورار (شهر شباط/فبراير) الذي لن يصيبني فيه البرد ولن تعرقلني فيه الثلوج». غضب ينّاير كثيرا وطلب من شهر فبراير إعارته يوما وليلة كي ينتقم من العجوز التي شتمته، فلبى فبراير رغبته وتنازل له عن يومين من عمره. خرجت العجوز إلى حقلها ومعها قطيعها، وهي مطمئنة بأن ينّاير رحل، وهنا استدعى هذا الأخير البرد والثلوج والرياح القوية، فهلكت هي وقطيعها. وانطلاقا من هذه الأسطورة، أصبح شهر شباط/فبراير أقصر شهر في السنة! ولا يزال الكثيرون إلى اليوم يخشون «يوم العجوزة» ولا يخرجون فيه للرعي.

هذه الأسطورة تتناول الروابط الموجودة بين الإنسان والطبيعة، وهي من أساطير الخصب التي ترتبط بالطقوس الدورية، ويجري تكرار أحداثها واستعادة دورة الحياة فيها بهدف الإيحاء للطبيعة النباتية بالانبعاث بعد انقضاء الشتاء، ودفع دورة الفصول التي لا غنى عنها للحياة الزراعية. وما يقوم به المحتفلون من طقوس لا يتخذ صفة العبادة للقوى العلوية، بل المشاركة مع هذه القوى بالرجوع طقسياً إلى زمانها الأول، من أجل مساعدتها على إعادة الانبعاث من جديد. ومن هنا فقط يمكننا فهم حرص ربات البيوت في هذا اليوم على استبدال الأواني القديمة بأخرى جديدة، وتغيير حجارة الموقد التقليدي، بالإضافة إلى نسج أفرشة جديدة وفي مقدمتها الزربية ليتم استقبال العام الأمازيغي الجديد بألبسة وأفرشة وأوان جديدة، بعد أن تتم إعادة طلاء البيت وتزيينه والتخلص من كل ما هو قديم، كعملية مشاركة لقوى الطبيعة في إعادة الانبعاث المتجددة.

فأسطورة «شيشناق» وأسطورة «العجوز» وإن كان يبدو للوهلة الأولى أنهما متباعدتان لا صلة بينهما، إلا أنهما وجهان لحقيقة واحدة، لأن التكوين الأول للأمازيغ مرتبط بالخصب الدوري للأرض، والانبعاث الجديد للفصول، الذي لولاه لما كان لهم أن يستمروا في الزمن. فالأرض هي الأم الحاضنة ومنها تولد كل الخيرات التي تسمح بتأبيد وجود هؤلاء الفلاحين. لهذا تحتل الأرض مساحة واسعة في الطقوس التي تقام في «ينّاير»، تمجيداً لهذه الأم واعترافاً بخيراتها وطلباً للخصب والرخاء والغلة الوفيرة ومحاولة لتجنب غضبها الذي يأتي في شكل جفاف وجدب وأوبئة.

مبروك بوطقوقة

مؤسس ومدير موقع «أرنتروبوس» aranthropos ورئيس تحرير «المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة»، من الجزائر.

حلم..

زينب سديرة/الجزائر

arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»
ـ كيف تراجعت مطالب الثورة المصرية؟ ـ هدير المهدوي
ـ انتحار الأطفال في تونس ـ حسان حاجبي
ـ تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
ـ تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

من أفضل 20 صورة عالمية في 2014 (اختيارات الغارديان البريطانية)

سكان مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين قرب دمشق يتدفقون للحصول على مساعدات من الأونروا بعد أشهر من الحصار التام والافتقاد لكل مؤونة.

أب يبكي ابنه الذي استشهد بسبب العدوان الإسرائيلي على غزة صيف 2014

(الصورة لمصطفى حسونة)

مدونات

الحكومة حيّة تغرّد!

لطالما كانت الحكومات اليمنية المتعاقبة، كغيرها من حكومات دول العالم الثالث، تفرض تعتيماً إعلامياً على الأحداث التي تدور في بلدانها، خصوصاً في ما يتعلق بأزماتها الداخلية كحروب صعدة واحتجاجات الجنوب في اليمن. لكن خلافاً للمألوف، أضحت الحكومة اليمنية ضحية للتعتيم الإعلامي هذه المرّة، ضحية للسياسات التي اعتمدتها في السابق، سابقاتها، محاصرة من دون أدواتها الإعلامية الكبيرة – بالمقارنة مع إعلام الداخل – بعدما استولى خصومها عليها، واحتلّت موقعها كأنها أحد الناشطين المحاصرين من الإعلام في دولة قمعية لتنشر أخبارها ومواقفها عبر مواقع التواصل الاجتماعي. لربما هو قدر حكومة محفوظ بحاح الوليدة منذ بضعة أسابيع، في ظل ظروف غير طبيعية، مع سيطرة جماعة الحوثي على مؤسسات الدولة، أن تكون ضحية لا جلاداً هذه المرّة.

منذ سيطرة مسلحي جماعة الحوثي على المؤسسات الإعلامية بصورة رسمية، بعد سقوط صنعاء في 21 أيلول/سبتمبر، فرضت الجماعة رقابتها على أخبار الرئاسة والحكومة، وصولًا حدّ منع الحكومة من نشر مواقفها في الإعلام الرسمي المركزي في صنعاء ابتداء من الأحد الماضي، حينما أعلنت الحكومة موقفاً حاداً تجاه اختطاف الحوثيين لمدير مكتب الرئاسة أحمد عوض بن مبارك، الذي وصفته بالجريمة...

من مدونة «سامي نعمان» اليمنية (الثلاثاء 20 كانون الثاني/يناير 2015)
/http://ahraryemen.blogspot.com

أزمة الغاز: من المسؤول؟

أزمة غاز طاحنة دخلت كل بيوت الأقاليم وبعض بيوت الخرطوم، وامتدّت لأكثر من أسبوع... أتذكّر ندوة عن الغاز في شركة النيل للبترول في نهايات التسعينيات عُرض فيها إحصاء لعدد الأسطوانات في الولايات، وكانت النتيجة أنّ كثيراً من الولايات تملك صفراً، أي لم تدخلها أسطوانة غاز. الآن دخل الغاز (تقريباً) كل البيوت. زاد انتشار الغاز في أيام ما قبل الانفصال. وكانت الوفرة تحقق العدالة. وذهب بترول الجنوب وبدأ الشح في العملة والغاز. وكان على الدولة أن تستورد الفرق في استهلاك الغاز والجازولين لتكملة النقص. وصار إنتاج وزارة النفط يذهب لولاية الخرطوم، وما هو مستورد لبقية السودان.

غير أن اضطراب استيراد الغاز كان كبيراً، فطوال السنة الماضية لم ينسب الغاز كما ينبغي إلا في رمضان. والشحّ كان السمة الغالبة والتعقيدات ازدادت يوماً بعد آخر، والحديث عن شحّ الغاز صار على كل لسان..

والحكومة باردة وكأن وزراءها يقيسون حال الناس بحالهم حيث لا ينقصهم إلا شكر الله. بالله كيف تدار هذه الدولة؟ ولمن ترفع التقارير؟ أكثر من عشرة أيام تنعدم سلعة هامة كالغاز في كلّ السودان (إلا الخرطوم) ولا يخرج بيان واحد ولا اعتذار ولا توضيح للمشكلة ولا تحديد للجهة المسؤولة؟ ولا يملك الناس سبباً واضحاً للأزمة؟

من مدونة «استفهامات» السودانية (الأحد 18 كانون الثاني/يناير 2015)
/http://istifhamat.blogspot.com

حيث تحوم أساطير الشعوذة

مجرّد حملك لكاميرا بالقرب من ضريح سيدي علي بن حمدوش، سيجعل أنظار الجميع تتركّز عليك، فأنت لست طالباً لبركة ستجعلك تقضي غرضاً ما، بل ما تلتقطه عدستك ستنشره في مواقع التواصل الاجتماعي. لذلك لم يكتف من ينتفعون من الشعوذة المحيطة بهذا المكان بمنع التصوير شفهياً، بل وضعوا لافتة كبيرة تؤكد هذا المنع الذي لا ينفع معه ترخيص ولا طلب. كل هذه السرّية تجد جواباً لها في شجرة تحيط بها شموع وأحجار سوداء ودماء أضاحي والكثير من المشعوذين، هي لـ«للة عيشة» مولاة المرجة، أو عيشة الحمدوشية، نسبة إلى الضريح الذي تتواجد به. غير أن «للة عيشة» لا ضريح لها ولا قبر، روحها تطوف بالمكان حسب ما يسود من اعتقادات، وبركتها قادرة على تحقيق أماني كل من يقصدها..

مباشرة بعد وصولها، قامت سيدة في الثلاثينيات أو الأربعينيات بالتوجه عند عطّار لشراء طبق يحتوي على شموع وبخور وزهر وحليب، وبعد ذلك توجهت إلى ضريح سيدي أحمد الدغوغي البعيد قليلًا عن المكان، لتعود إلى المرحلة الأهم، وهي زيارة شجرة لـ «للة عيشة»، أو الحفرة كما يطلق عليها هنا، حيث اختارت دجاجة سوداء، ذبحها أحد «الشرفاء» المتواجدين هناك، وبعدها تركت «مجمراً» يتوسط رجليها، مستمتعة بالبخور الذي يصعّد إلى أركان جسدها..

من مدونة «اسماعيل عزّام» المغربية (الاثنين 19 كانون الثاني 2015)
http://www.azzami.com